منزلة الشعر من التاريخ

٥ الزراعة

ومن اسباب المعاش عندهم الزراعة قال زهير بن ابي سلمى

فتغلل لكم ما لم تغلّ لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ومنهُ نستدلُّ ان عرب العراق كانوا يتعاطون امور الزراعة على مثال ما ورد في شعر المتلمس "آليت حب العراق الدهر اطعمهُ" وقول امرىء القيس "كجرمة نخل او كجنّة يثربِ" وقول خارجة بن ضرار المرسي "كستبضع تمرًا الى ارض خيبرا". واوضح من هذا قول جرير بن عطية في هجاء الصلتان

اقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخلِ

وقد اجابهُ الصلتان بقولهِ

تعيّرنا بالنخل والنخل مالنا وودّ ابوك الكلب لو كان ذا نخلِ

وقد ذُكرت اوائل الزراعة فمن ذلك المعول قال الحطيئة

ما كان ذنبيَ ان فلّت معاولكم من آل لأيٍ صفاة اصلها راسِ

والمنجل قال عنترة العبسي "واظافرٍ يشبهن حد المنجلِ" وقال الاخطل

يخطر بالمنجل وسط الحقلِ يوم الحصاد خطران النخلِ

والمنجنون وهي آلة تديرها البقرة . قال المتلمس

هلمَّ اليهِ قد ايشتِ زروعهُ وعادت اليهِ المنجنون تكدّسُ

وايشت نبتت وتأصلت وقد ذكر الزرع الاعشى بقولهِ

ألم ترَ ان العرض اصبح بطنهُ نخيلاً وزرعًا نابتًا وفصافصا (١)

وكانت اياد ذات اهتمام بالزرع وذلك يستنتج من قصيدة للقيط بن يعمر الايادي وكان كاتبًا في ديوان كسرى ارسلها الى قومهِ لما رأى صاحبهُ مجمعًا على غزو قومهِ منها

ابلغ اياداً وغلّل في سراتهم اني ارى الرأي ان لم أعصَ قد نصعا

ابي اراكم وارضًا تعجبون بها مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا (٢)

(١) الفصافص جمع فصفصة وهي نبات تعلفهُ الدواب تسمى بذلك ما دامت طيبة

(٢) الوعث ارض مسترخية رطبة والطبع صدأ يكثر على السيف والطبع ايضًا تدنس العرض وتلطخهُ استعارهُ للفناء

ألا تخافون قوماً لا ابالكمُ أمسوا اليكم كامثال الدَّبى سرعا(٣)

لا الحرث يشغلهم بل لا يرَون لهم من دون بيضتكم ريًّا ولا شبعا

وانتمُ تحرثون الارض عن سفه في كل معتمرٍ تبغون مُزْدَرَعا

ومما يدلُّ على اشتغالهم بالزراعة قول عروة بن الورد

لست لمرَّة ان لم اوف مرقبة يبدو لي الحرث منها والمقاضيبُ(٤)

وقول لبيد

اذا أروَوا بها زرعاً وقَضْباً اداروها على خورٍ طوالِ(٥)

وقول عوف بن مالك النضري

تعرَّض ضيطارو خزاعة دوننا وما خير ضيطارٍ يقلّب مسطعا(٦)

وقول جندل بن المثنى "يفرك حبَّ السنبل الكُنافجِ" (٧) وقول ابي ذؤيب

وما حمل البختيُّ عام غيارهِ عليهِ الوسوقُ بُرُّها وشعيرها (٨)

وكان بعضهم يعلفون ركائبهم من الشعير قال الاعشى في صفة ناقته

بناها الفواديُّ الرضيخ مع الخلا وسقي واطعامي الشعير بمجفدِ

وهذا ممَّا يدلُّ على غزارة وجودهِ غزارة لا يفي بها اجتلابهُ

وكانوا يتداولون الحبوب مكايلة قال الاخطل

والخبز كالعنبر الهندي عندهمُ والقمح سبعون اردبًّا بدينارِ

وقال ابو جندب الهذلي

فلهف ابنة للجنون ان لا تصيبهُ فتوفيهُ بالصاع كيلاً غُذارِما (٩)

وقال مزرِّد

خلطتُ بصاع الأقط صاعين عجوة الى صاع سمنٍ وسطهُ يترعَّعُ

وممَّا يستدلُّ على اشتغالهم بالزراعة عصرهم الزيت وبيعهُ . اما عصر الزيت فدليلهُ قول الفرزدق

ولكن دياقيٌّ ابوهُ وامهُ بحوران يعصرن السليط اقاربه (١٠)

---

(٣) الدبى صغار الجراد (٤) المقاضيب جمع مقضبة وهي منبت القضب

(٥) القضب الرطبة . والخور جمع خوارة وهي النخلة الكثيرة الحمل

(٦) الضيطار الضخم الذي لا غناء عنده والمسطع الخشبة المعرضة على دعامتي الكرم بالاطر

(٧) الكنافج المكتنز من السنابل (٨) البخت الابل الخراسانية واحدها بختي

(٩) غذارم جزاف (١٠) دياقي نسبة الى دياف من قرى الشام . والسليط الزيت

اما يعنهُ فدليلهُ قول ابن احمر الباهلي

لها رطل تكيل الزيت فيهِ وفلاّح يسوق بها الحمارا

ونعود الى بيت الفرزدق فقد قال صاحب خزانة الادب الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي اراد بيعصرن الاشارة الى ان عصر الزيت عمل النساء خاصة لا عمل الرجال

واذا نظرنا بامعان وجدنا ان الطبابة والصياغة وتحصيل الذهب ونسج الثياب والبسط والحصير وعصر الزيت والبيع وغزل الصوف ورعاية الماشية والغناء مما احترفتهُ نساء العرب وكفى بذلك دليلاً على انهنّ كنّ عضواً عاملاً في الهيئة المدنية عند العرب

٦ الصيد

والصيد عند العرب ضربان ضرب لتحصيل المعاش وهو من ابحاثنا هنا وضرب من انواع اللهو عند الامراء . اما الاول وهو الصيد للتعيش فدليلهُ قول امرىء القيس

ربّ رامٍ من بني ثعلٍ مُشلج كفّيه من قترهِ (١)
عارض زوراء من نشمٍ غير باناتٍ على وترهِ (٢)
قد التهُ الوحش واردة فتنحى النزع في يسرهِ (٣)
فرماها في فرائصها بازاء الحوض او عقرهِ (٤)
برهيش من كنانتهِ كتلظّي الجمر في شررهِ (٥)
راشهُ من ريش ناهضة ثم امهاهُ على حجرهِ (٦)
فهو لا تمضي رميّتهُ ماله لاعدٌ من نضرهِ (٧)
مطعم للصيد ليس لهُ غيرها كسب على كبرهِ

وهذه الابيات في بابها غاية فقد ذكر مواقع الصيد وصفة الصياد الحاذق وكيفية الصيد ومن اي شيء تؤخذ القسي والسهام. وصرّح باتخاذ الرماية مهنة للمعاش كل ذلك بايجاز غريب

واما الصيد للهو بالكلاب فقد ذكر ذلك كثار من الشعراء كالنابغة في قصيدتهِ "يا دار مية بالعلياء فالسند" وكامرىء القيس في قصائدهِ "خليليّ مرّا بي على ام جندبٍ" "والا

(١) المشلج مدخل والقتر جمع قترة بيت الصائد الذي يكمن فيهِ للوحش
(٢) الزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر يعمل منهُ القسي والباناتُ هو الذي يخفي اذا رمى فيذهب سهمهُ على وجه الارض وذلك عيب (٣) تنحى تحرف . يسر جمع يسرى
(٤) العقر مقام الشاربة (٥) الرهيش سهم ضامر
(٦) الناهضة التي وفر جناحها وامهاه ارقه
(٧) المميتُ الصيدَ فنى يعني وذلك ان ترميهُ فتصيبهُ ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب

انعم صباحاً ايها الربع فانطقِ " و " أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوصُ " و " اعني على برق اراهُ وميضِ ". وهو اكثر الشعراء وصفاً للصيد والتصيد وكذلك قد امّ زهير بن ابي سلمى بالصيد في قصيدتهِ " صحا القلب عن سلمى واقصر باطلهُ ". وذكر علقمة الفحل الصيد في قصيدتهِ " ذهبتِ من الهجران في كل مذهبِ ". ونكتفي بالاشارة الى هذه القصائد خوفاً من ملل القارئ الكريم

ومن اشتهر بالصيد رجلان يقال للاول ابن مرّ وللثاني ابن سنبس وكانا بارعين في تربية كلاب الصيد قال امرؤ القيس

فصبّحهُ عند الشروق غديةً كلاب ابن مرٍّ او كلاب ابن سنبسِ

وكذلك كانوا يعرفون القنص بالطيور الجوارح . قال طرفة وهو عمرو بن العبد البكري في وصف القنص بالطيور في خلال ابيات شجا بها عمرو ابن هند اللخمي واخاهُ قابوساً

لعمرك ان قابوس ابن هند ليخلط ملكهُ "حمق" كثيرُ
فسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد او يجورُ
لنا يوم وللكروان يوم - تطير البائسات ولا تطيرُ (٨)
فاما يومهنّ فيوم سوء تطاردهنّ بالحدب الصقورُ (٩)

وكانوا يتصيدون (بالفخ) ايضاً كما قال طرفة

يالكِ من قبّرة بمعمر خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت ان تنقّري قد رُفع الفخُّ فاذا تحذري
لا بدَّ من صيدك يوماً فاصبري

٧ تربية النحل

وكان البعض يعنون بتربية النحل لاشتيار عسلهِ قال تميم ابن مقبل يصف نحلاً

كأنّ اصواتها من حيث نسمعها صوت المحابض ينزعن المحارينا (١٠)

وقال الشنفرى

او الخشرم المبثوث حثحث دبرهُ محايض ارساهنّ شارٍ معسّلُ (١١)

---

(٨) الكروان طائر معروف وهو طويل العنق والرجلين اغبر لهُ صوت حسن
(٩) الحدب جمع حدبة وهي الغلظ المرتفع من الارض
(١٠) المحابض جمع مِحباض وهو ما تساقط من الدبر في العسل فمات فيه
(١١) الدبر جماعة النحل

﴿ ١٤ ﴾

اعزاز الخيل

ولما كانت غارات العرب متواصلة كان للخيل عندهم معزّة. كما نستدل من قول خفيف العجلي

ابيتَ اللعنَ ان سكاب علقٌ نفيس لا يُعارُ ولا يباعُ
مغذّاة مكرّمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاعُ
سليلة سابقين تناجلاها اذا نُسِبا يضمّهما الكراعُ
فلا تطمع ابيت اللعنَ فيها ومنعكها بشيءٍ يستطاعُ

وفي البيت الثالث اشارة الى ان العرب كانوا يحافظون على انساب الخيل وهو امر حقيقي.

قال النابغة الذبياني في صفة خيل قومهِ

فيهم بنات العسجدي ولاحق ورقا مراكلها من المضمارِ

وقال ايضاً

قعوداً على آل الوجيه ولا حق يقيمون حولياتها بالمقارعِ

﴿ ١٥ ﴾

العَقْل والقَوَد

ومن سنن العرب اذا قُتِل قتيل اما ان يقبل اهلهُ بعقلهِ اي باخذ ديتهِ او انهم يصرّون على القوَد وهو قتل القاتل. اما اخذ الدية فواضح من قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا واقواتنا وما نقود الى القتلِ

وكان بعضهم قبل الاسلام يجنف عن اخذ ثار القتيل الواحد من قومهِ بالقتيل الواحد من اعدائهِ كما يُعرَف ذلك من حكاية المهلهل التغلبي وقتلهِ ابن اختهِ بجير ابن ام الاعز وهو بجير بن الحارث بن عباد اليشكري وقولهِ اذهب بشسع كليب. وعلى التفضيل بين القتلى قال جميل بن معمر العذري

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعة قتلوني
وكيف ولا توفي دماؤهمُ دمي ولا مالهم ذو ندمة فيدوني (٢)

وقال عبد الله بن الزبير

قضى الله ان النفس بالنفس بيننا ولم نكُ نرضى ان نباوئكم قبلُ (٢)

وقالت ليلى الاخيلية في رثاء توبة بن الحميّر

(٢) ندمه سعة (٢) باوأهُ الشيءَ بالشيءِ جعلها سواء

فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ

وكان العقلُ غير محمود عندهم بدليل قول كبشة اخت عمرو بن معدي كرب تحرّض قومها على اخذ ثار شقيقها عبد الله وكان اخوها عمرو يتظاهر بقبول الابتداء

وارسل عبدالله اذ حان يومهُ الى قومهِ لا تعقلوا لهمُ دمي
ولا تأخذوا منهم افالاً وابكرًا واترك في بيت بصعدة مظلم (٤)
فان انتمُ لم تقتلوا واتديتمُ فشُوا بآذان النعام المصلَّمِ

والمشهور في الدية ان كانت دية ملك فألف بعير كما احتملت بنو فزاره دية ابن الاسود ابن المنذر قال قراد بن حنش الصاردي

ونحن رهنًا القوس ثمَّ اردبت بالف على ظهر الغزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك سعى بها ليوفيَ سيَّار بن عمرو فاسرعا

واما ان كانت دية احد العامة فمئة قال سالم بن دارة

ابلغ ابا سالم عني مغلغلة فلا تكونن ادنى القوم للعارِ
لا تأخذنْ مئة منهم مجلَّلة واضرب بسيفك منظور بن سيَّارِ

وكانوا يختارون الدية من الابل الصغار الموسومة بزغة . قال زهير بن ابي سلمى

فاصبح يُحدَى فيهم من تلادكم مغانم شتى من افالٍ مزنَّمِ

وكان المزنَّم من كرام الابل . ودليل ذلك افتخار المتلمس باقتناء قومهِ لها قال

وان نصابي ان سألت وأسرتي من الناس حيٌّ يقتنون المزنَّما

وبيتا سالم بن دارة المواردان سابقًا يؤكدان انفة العرب من الانداء حتى نراهُ قد عدَّ قبولهُ عارًا وهكذا قال الاخوص اليربوعي وقولهُ

وليس بيربوع الى العقل حاجة سوى دنس يسودهُ منهُ ثيابها

وربما كانت الدية من غير الابل . قال زهير بن ابي سلمى

فكلاً اراهم اصبحوا يعقلونهُ غلالة الف بعد الف متمِّمِ
تُساقُ الى قوم لقوم غرامة صحيحات مال طالعات بمخرمِ

يريد بالالف الف درهم . وقال الحريث بن زيد الخيل

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة كرامًا ولم نأكل بهم حشف النخلِ (٥)

(٤) الافالُ جمع افيل وهو الصغير من الابل
(٥) الحشف اردأ التمر اي انهم لم يقبلوا الدية التي قد تكون من التمر او من امثال ذلك مما يؤكل

وكان اخذ الثار عزيزًا عندهم يتطلّبونهُ بكل قوام حتى كانوا يستحبون الموت في سبيل الحصول عليهِ قال الفرزدق يحرّض قومهُ

فاستشعروا بثياب اللؤم واعترفوا ان لم تروعوا بني اقصى بغاراتِ
ولتقتلوا بفتى الفتيان قاتلهُ او تُقتلون جميعًا غير اشتاتِ

وكان العزيز المنيع الجانب هو الذي ان قتل احدًا لا يطالب بدية ولا بقوَد قال حسان ابن ثابت مفتخرًا

ما للقتيل الذي اسمو فاقتلهُ من دية فيهِ يعطاها ولا قوَدِ

وكان اذا قُتِل رجل من قبيلة يُطالب القاتل بدمهِ فيجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألون العفو عن الدم فان كان وليهُ قويًّا حميًّا ابى اخذ الدية وان كان ضعيفًا شاور اهل قبيلتهِ فيقول للطالبين انْ بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي فيقول لهم الآخرون ما علامتكم فيقولون نأخذ سهمًا فنركبهُ على قوس ثم نرمي بهِ نحو السماء فان رجع الينا ملطخًا بالدم فقد نُهينا عن اخذ الدية ولم يرضوا الاَّ بالقوَد وان رجع نقيًّا كما صعد فقد أُمرنا باخذ الدية وصالحوا . فما رجع هذا السهم قطُّ الاَّ نقيًّا ولكن لهم بهذا عذر عند جهالهم قال الاشعر الجعفي

عقُّوا بسهمٍ ثم قالوا صالحوا يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى (٦)

وقال المتنخل الهذلي

عقُّوا بسهم ولم يشعرْ بهِ احدٌ ثم استفاقوا وقالوا حبذا الوضحُ (٧)

وكان يسمى السهم الذي يرمى العقيقة ولهذا قال الشاعران عقوا بسهم

امين ظاهر خير الله

(٦) مسح اللحى علامة الصلح (٧) الوضح اللبن كناية عن الابل اي قبول الدية